" الماء " في اللغة العربية

دراسة تاريخية لغوية

أحمد طه رضوان (*)

ملخص

يتكون البحث من مقدمة وفصلين ، تعرض الباحث في الفصل الأول للهجات لفظ الماء في العربية، وتطورها التاريخي، مستخدما نظرية تطور الأفعال الجوفاء والمعتلة التي أشار إليها الدكتور رمضان عبد التواب ، نظرا لمشابهة لفظ "الماء" لبنية الأفعال الجوفاء . ونتج عن ذلك وضع تصور افتراضي لتطور ذلك اللفظ عبر اللغات السامية واللهجات العربية المختلفة . وفي الفصل الثاني تعرض الباحث لعدد من المسائل الصرفية والدلالية للفظ الماء ، هي على الترتيب : أصل لفظ (ماء) - تذكير لفظ (ماء) وتأنيثه - إفراد لفظ (ماء) وجمعه - تصغير لفظ (ماء) - النسب إلى لفظ (ماء) -البنى المشتقة من لفظ (ماء) - دلالة لفظ (ماء) ، وتطورها - الألفاظ الدالة على الماء في المعجم العربي . وخُتم البحث بفهرس للمصادر، ثم بفهرس للموضوعات .

ومن أهم النتائج التي خرج بها البحث :

١. إمكانية تطبيق نظرية (تطور الأفعال المعتلة) على الأسماء المشابهة لها في البنية.
٢. عرض خلاصة لما ذكره المعجميون وأهل اللغة حول تذكير لفظ الماء وتأنيثه ، وإفراده وجمعه ، وتصغيره ، والنسب إليه .
٣. عرض للألفاظ المشتقة من المادة اللغوية للماء ، منها أفعال ، ومنها أسماء ، منها الحقيقي ومنها المجازي . رتبها الباحث ، وعرض لأمثلتها وشواهدها اللغوية .

تناول الباحث لدلالة لفظ الماء وما حدث لها من اتساع دلالي ، وأنها لم تعد تعني فقط السائل الذي يُشرب أو يُغتسل به ، بل إن العرب توسعوا فيها كثيرا حتى كاد لفظ الماء يصبح مرادفا للسيولة والجريان .

(*) استاذ مساعد بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

'Almaa' in Arabic Language : A Historical and Linguistic Study

Ahmed Taha Radwan

Abstract

This paper aims to shed light on the historical and etymological development of the pronounce 'Almaa' (water). It consists of an introduction and two chapters. The first chapter deals with the different accents of the Arabic pronunciation of the word 'Almaa' and their historical development via using the theory of development of hollow and vocalic verbs which is referred to by Dr. Ramadan Abdul-Tawab due to the similarity of the word 'Almaa' to the structure of the hollow verbs. This resulted in a hypothetical vision of the development of this word through the Semitic languages and the different Arabic dialects.

In the second chapter, the researcher deals with several morphological and semantic issues of the word 'Almaa'. They are respectively: the origin of the pronounce 'Almaa', its masculine and feminine forms, its singular and plural forms, its diminutive form, its lineage, its structural derivatives, its denotations and their development, and the related words (to Almaa) in the Arabic dictionary. The paper ends with indexes of sources and subjects.

After unraveling the previously mentioned issues, the researcher deduced a number of results: Firstly, the most salient of which is that there is a possibility of applying (the theory of development of the vocalic verbs) on the nouns that are similar to their structures.

Secondly, there is a display of a concise summary of what has been mentioned by the lexicons and the linguists about the masculine and feminine forms of the word 'Almaa', its singular and plural forms, its diminutive form, and its lineage.

Thirdly, the present study includes a survey of the derived words of the original word 'Almaa'. The survey includes the actual and the metaphorical verbs and nouns that have been arranged by the researcher. Besides, he mentions several examples and shows their linguistic evidences.

Fourthly, in the course of the present study, the researcher exposes the different, wide and growing denotations of the word 'Almaa'. It no longer denotes only to that liquid that is used for drinking and washing, but the Arabs have expanded its denotations so much that it becomes synonymous with liquidity and runoff.

مقدمة:

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ...

فهذا بحث يتناول لفظ (الماء) بالدراسة التاريخية اللغوية، ذلك اللفظ المتغلغل في حياة البشر من قديم، والذي يُعدّ مرادفا للحياة ذاتها عند العرب، ومع هذه الأهمية الكبرى له فإن الدراسات التي أقيمت حوله لم تتناول الجانب التاريخي، ولم تفرد بعض قضاياه اللغوية بالدراسة. وهذا البحث يحاول إلقاء الضوء على بعض تلك المسائل .

في الدراسة التاريخية سأحاول الكشف عن أصول هذا اللفظ، والتعرف إلى صوره اللهجية المختلفة وتطورها، ولكون المعاجم العربية اكتفت بذكر ما رُوي من تلك الصور اللهجية، ولم تهتم بالإشارة إلى الصور الأقدم ؛ فقد اقترح الباحث تطبيق نظرية تطور الأفعال المعتلة على لفظ الماء، وتلك النظرية التي أشار إليها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (بحوث ومقالات في اللغة) طبقها على الأفعال الجوفاء والمعتلة، ويرى الباحث أنها تصلح كذلك للتطبيق على الأسماء المشابهة لها في البنية .

وإتماما للتعرف على الجوانب اللغوية المختلفة المتعلقة بلفظ الماء، جاءت الدراسة اللغوية لتعرض لتلك الجوانب في الصرف ، والدلالة. حيث سبق التعرض للجوانب الصوتية في الدراسة التاريخية. أما جانب التركيب فلم يجد الباحث أنماطا تركيبية مميزة للفظ الماء تستدعيإفرادها بالدراسة، واكتفى الباحث بالإشارة إليها في ثنايا المسائل الصرفية والدلالية .

وقد اعتمد الباحث أساسا على المعاجم اللغوية، اللسان والتاج خاصة، باعتبارهما معجمين موسوعيين جامعين لأكثر ما حوته باقي المعاجم، مع العودة إلى غيرهما إن اقتضت الحاجة. كما اعتمد على الشواهد القرآنية والحديثية في المقام الأول ، باعتبار أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المثال الأعلى للغة العربية الفصيحة، مع الإشارة إلى شروحهما في بعض المواضع ، وكذلك الإلماح إلى بعض ما ورد في الشعر والنثر العربي، في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام خاصة.

وعلى الرغم من تداخل الجوانب اللغوية والتاريخية، بصورة تجعل من الفصل بينهما عسير المنال، فإنه وفقا لمقتضيات البحث تم تقسيمه على مقدمة وفصلين، كالتالي :

الفصل الأول : (الماء) اللهجاتوالتطور التاريخي

أولا : لهجاتلفظ (ماء) .

ثانيا : التطور التاريخي لنطق لفظ (ماء) .

الفصل الثاني : (الماء) صرفيا ودلاليا

أولا : أصل لفظ (ماء)

ثانيا : تذكير لفظ (ماء) وتأنيثه .

ثالثا : إفراد لفظ (ماء) وجمعه .
رابعا : تصغير لفظ (ماء) .
خامسا : النسب إلى لفظ (ماء) .
سادسا : البنى المشتقة من لفظ (ماء) .
سابعا : دلالة لفظ (ماء) ، وتطورها .
ثامنا : الألفاظ الدالة على الماء في المعجم العربي .

ثم اختتمت هذا البحث بفهرس للمصادر ، ثم بفهرس للموضوعات . وأسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل نافعا متقبلا . والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأول : (الماء) اللهجات والتطور التاريخي

أولا : لهجات لفظ (ماء):

لفظ الماء من الألفاظ التي ورثتها اللغة العربية الفصيحة عن اللغة السامية الأم ، يدل على ذلك وجودها في اللغات السامية كافة ، وبنطق متقارب :

فنطقه في العربية ماء mā>

وهو في الحبشية māy

وفي العبرية may

وفي الآرامية mayyā

وفي السريانية mayyā

وفي الآشورية mu [1]

ولا شك أن لفظ (ماء) مرَّ بمراحل من التطور الصوتي – شأنه شأن أي لفظ آخر في أية لغة – حتى استقر نطقه بهذا الشكل قبل الإسلام فيما عُرف بالعربية الفصحى ، وباللغة العربية الفصيحة التي كانت مستقرة لدى العرب نزل القرآن الكريم ، وتم تدوين الحديث النبوي الشريف فيما بعد .

وقد احتفظت بعض القبائل بنطق خاص لذلك اللفظ ، عبارة عن ركام لغوي باقٍ من الفترات الزمنية السابقة على تشكُّل الفصحى ، أو تطور صوتي لبعض تلك الأشكال القديمة ، وهذا هو السبب في وجود أكثر من نطق للفظ الماء ، صرحت به المعاجم العربية .

وعلى الرغم من تعدد الألفاظ الدالة على الماء في اللغة العربية ، فإن لفظ (الماء) كان اللفظ الوحيد المذكور في القرآن الكريم ،كما كان أكثر تلك الألفاظ ترددا في السنة النبوية ، وبنسبة كبيرة تفوق ذكر غيره من الألفاظ الدالة على الماء ، مما يشير إلى أنه هو اللفظ الأفصح ، والأكثر استخداما عند العرب من بين تلكم الألفاظ جميعا .

وقد نقل لنا اللغويون عدة صور لهجية للفظ الماء ، نطق بها العرب على اختلاف قبائلهم ، وعلى امتداد زمان طويل امتد من أعماق العصر الجاهلي وحتى نهاية عصور الاحتجاج . ففي اللسان : " الماءُ والماهُ والماءةُ معروف . ابن سيده : وحكى بعضهم : اسْقِني ماً ، مقصور ، على أن سيبويه قد نفى أن يكون اسمٌ على حرفين أحدهما التنوين ... ومن العرب من يقول : ماءة - كبني تميم - يعْنُون الرَّكِيَّة بمائها ، فمنهم مَنْ يَرْوِيها ممدودةً : ماءة ، ومنهم من يقول : هذه ماهٌ ؛ مقصورة ، وماءٌ كثير على قياس شاة وشاء . وقال أبو منصور : أصلُ الماء ماهٌ بوزن قاهٍ ... وقال (الفراء): وسمعت هؤلاء يقولون : شربت مَيْ يا هذا ، وهذه بَيْ يا هذا ، وهذه بَ حَسَنة ،

فشبَّهوا الممدودَ بالمقصور والمقصورَ بالممدود " [٢].

وما في سائر المعاجم لا يخرج عن المذكور في لسان العرب من الصور اللهجية للفظ (ماء) ، فقد ذكره الزبيدي في تاج العروس ، وكرر المنقول عن كل من الليث ، وابن سيده ، والأزهري ، والجوهري ، والفراء [٣].

ونخرج مما في المعاجم من أقوال أهل اللغة بأن لدينا عدة صور لنطق لفظ الماء ، هي : ماءٌ ، وماهٌ ، وماهٌ ، وماءهٌ ، ومَيْ ، وماَ [٤]. وأن لفظ (الماء) هو الحلقة الأخيرة من التطور التاريخي لهذا اللفظ في اللغة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ، وأنه الأفصح فيما بينها ، فهو الذي نزل به القرآن الكريم ، وشاع في الحديث النبوي الشريف ، وفي الأدب العربي شعره ونثره ، أما باقي التنويعات الأخرى للفظ فهي عبارة عن لهجات تطور بعضها عن بعض في أزمنة مختلفة ، وأكثرها مندثر أو محدود الاستعمال ببيئات بعينها .

وتجدر الإشارة إلى خلط بعضهم بين (ماه) كلهجة من لهجات لفظ (ماء) ، وبين اللفظ الفارسي (ماه) ، حيث ظنوا أن (ماه الكوفة) ، و(ماه البصرة) – وهما اسما مكانين – مأخوذان من لفظ الماء ، وليس الأمر كذلك ، فليس بين اللفظتين صلة قربى ، وإنما هو اشتراك لفظي فحسب ، نتج عن دخول (ماه) الفارسية إلى الاستخدام العربي بعد فتح بلاد فارس، فـ(ماه) في الفارسية معناها القمر ، ولذا سموا عدة أماكن بها ، وجاراهم العرب فسموا (ماه الكوفة) ، و(ماه البصرة) ، وفي القاموس المحيط أن (ماه) معناها قصبة البلد . وقد نبه على ذلك الخلط عدد من اللغويين وشراح الحديث ، ففي تاج العروس : " والماهُ : قَصَبَةُ البَلَدِ ، فارسِيَّةٌ ؛ ومنه : ماهُ البَصْرَةِ ، وماهُ الكُوفَةِ . قالَ ابنُ الأعْرابيِّ : ومنه ضُرِبَ هذا الدِّينارُ بماهِ البَصْرَةِ وماهِ فارسَ . قالَ الأزْهرِيُّ : كأنَّه مُعَرَّبٌ . قُلتُ : أصْلُ ماه بالفارسِيَّة القمر . والماهانُ ، مُثَنَّى مَاه ، الدَّيْنَورُ ونَهاوَنْدُ ، إحْداهُما ماهُ الكُوفَةِ ، والأخْرى ماهُ البَصْرَةِ " [٥].

وفي النهاية في غريب الحديث والأثر : " حديث الحسن : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون السَّمْنَ المَائِيَّ . هو منسوب إلى مواضع تسمى : ماهَ ، يُعمَل بها . ومنه قولهم : ماهُ البصرةِ، وماهُ الكوفةِ ، وهو اسم للأماكن المضافة إلى كل واحدة منهما ، فقُلِبَ الهاء في النسب همزة أو ياء . وليست اللفظة عربية" [٦].

وعلى هذا فما روي في سنن البيهقي وغيره : " غَزَتْ بَنُو عُطارِدٍ مَاهَ البَصْرَةِ وأَمِدُّوا بعَمَّارٍ مِنَ الكُوفَةِ" [٧]، ليس لماه البصرة هاهنا صلة بلفظ الماء .

فإذا ما تتبعنا لفظ الماء ولهجاته التي ذكرتها المعاجم ، في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والأدب العربي ، نجد أن لفظ (ماء) قد ورد في القرآن الكريم صراحة - عدا الألفاظ التي تدل عليه – حوالي ٦٠ مرة [٨]، في حين لم يُذكر فيه أي نطق لهجي آخر من اللهجات التي أشارت إليها المعاجم للفظ (ماء) .

فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[سورة البقرة ٢٢/٢] ، وقوله عز وجل ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾[سورة الأنفال ١١/٨] ، وقوله ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾[سورة إبراهيم ١٦/١٤] ، وقوله ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ [سورة الكهف ٤٥/١٨]

أما في الحديث النبوي الشريف ، فقد ورد لفظ (ماء) مرات لا تُحصى عددا ، للدلالة على الماء المعروف الذي يُشرب منه ويُغتسل به ، نتخير منه هذه المواضع كأمثلة :

- مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ [٩].
- ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الأُخْرَى فَغَسَلَ بِهِمَا [١٠].
- كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أُجِيءُ أَنَا وَغُلاَمٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ [١١].
- فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ [١٢].
- لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ [١٣].
- كَانَ عَلِيٌّ يَجِيءُ بِتُرْسِهِ فِيهِ مَاءٌ وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْ وَجْهِهِ الدَّمَ [١٤].
- ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ شَعَرِهِ [١٥].
- فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَسْجُدُ فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ [١٦].
- قَالَ : ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ [١٧].
- وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلْيَرْجِعْ فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ [١٨].
- فَقَسَمَ عُمَرُ خَيْبَرَ فَخَيَّرَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُقْطِعَ لَهُنَّ مِنَ الْمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَوْ يُمْضِيَ لَهُنَّ فَمِنْهُنَّ مَنِ اخْتَارَ الأَرْضَ وَمِنْهُنَّ مَنِ اخْتَارَ الْوَسْقَ [١٩].
- فَقُلْتُ : مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتِ : الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ [٢٠].
- إِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبِطُ الشَّعْرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً - أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً [٢١].
- وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّىْءِ فِى السَّيْلِ [٢٢].

وهذا غيض من فيض مما ورد في الصحيحين فقط ، غير أضعافه مما ورد في كتب السنن والحديث الأخرى.

ومن أمثلة ما ورد في الشعر العربي القديم من لفظ (ماء) ، ما روي من شعر امرئ القيس (ت ٨٠ ق. هـ) :

فَأَوْرَدَهَا مَاءً قَلِيلاً أَنِيسُهُ يُحاذِرْنَ عَمراً صَاحِبَ القُتَرَاتِ [٢٣]

وفي معلقة عمرو بن كلثوم (ت ٣٩ ق. هـ):

مُشَعْشَعَةٌ، كَأَنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خَالطَهَا سَخينَا [٢٤]

وفي شرح ديوان الحماسة من شعر عروة بن الورد (ت ٣٠ ق. هـ):

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد [٢٥]

وعند عنترة (ت ٢٢ ق. هـ):

بَرَكَتْ على ماءِ الرِّداع كَأنما بَرَكتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّم [٢٦]

وفي المفضليات من شعر متمم بن نويرة (ت ٣٠ هـ):

أَقُولُ وقد طار السَّنَا في رَبَابِهِ وجَوْنٍ يَسُحُّ الماءَ حَتَّى ترَيَّعَا [٢٧]

وجاء في شعر لقيط بن زرارة (ت ٥٣ هـ) :

كأن رضاب المسك دون لثاتها على شبم من ماء مزنة بارد [٢٨]

ومن شعر ذي الرمة (ت ١١٧ هـ):

وماء بعيد العهد بالناس آجنٍ كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصق

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماءٍ محلق [٢٩]

ومن النثر ما نُقل عن قس بن ساعدة (٢٣ ق. هـ) عند قيصر : "قال [قيصر]: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه " [٣٠]. ومن أقرب النثر دلالة على ما نحن بصدده ما ورد في أمثال العرب : " أعذب من مَاء البارق " ، و " وَمن مَاء الغادية " [٣١] ، فإن الأمثال لا تكون أمثالا حتى تشتهر على ألسنة الناس .

ويتلو لفظ (ماء) في الشيوع في الحديث الشريف لفظُ (مياه) ، وستأتي له أمثلة عدة تحت عنوان : إفراد لفظ (ماء) وجمعه ، في الفصل الثاني . كما ورد لفظ (ماءة) في موضع واحد وقفت عليه ، سيأتي تحت عنوان : تذكير الماء وتأنيثه ، في الفصل الثاني كذلك .

وورد لفظ (ماه) دلالة على الماء في أمثلة قليلة منها قول عبيد بن أيوب بن ضرار العنبري ، من شعراء العصر الأموي :

ولو لم يُقَنَّع عند أبيات خالهلعضّ به ماه الذباب حديد [٣٢]

أي : كثير ماء القلب أحمق . ومنه قول الراجز :

إنك يا جهضم ماه القلب

أي كثير ماء القلب ، يعني : بليد بلغ النهاية في الجبن [٣٣].

أما باقي لهجات لفظ الماء فلم أعثر على أمثلة لها فيما طالعت كذلك .

وكل هذا يعني أن لفظ (ماء) هو الاختيار الأفصح الذي ارتضته اللغة العربية المشتركة بين العرب للتعبير عن ذلك السائل الشفاف الذي لا حياة بشرية في غيابه ، وأنه كان أكثر الألفاظ شيوعا في الاستخدام وقت نزول القرآن الكريم ، وأن باقي الصور اللهجية كانت محدودة الاستخدام لدى بعض القبائل .

ثانيا : التطور التاريخي لنطق لفظ (ماء) :

نظرا للفترة التاريخية الطويلة التي مرَّ بها لفظ (ماء) بتنويعاته الصوتية ولهجاته المختلفة ، عبر حياة اللغة السامية الأم ، وأكثر من لهجة عربية ؛ فقد كان عُرضة للتطور المتتابع ، ولذا فإنه من الصعب الحكم بصيغة الجزم على الطريق الذي سلكته تلك الألفاظ في التطور ، وليس لدينا إلا أن نحاول الاستدلال بالحلقات الموجودة عن الحلقات المفقودة ، مستخدمين النظرية التي طبقها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله في تتبع تطور الأفعال المعتلة – الجوفاء والناقصة تحديدا – وما شابهها في اللغة العربية ، وهي نظرية أثبتت صوابها بتفسير التطور اللغوي الذي حدث للعديد من الألفاظ في الفصحى واللهجات .

تقوم هذه النظرية على اعتبار مرور الفعل الأجوف أو الناقص – وما أشبههما من الألفاظ - بأربع مراحل متتالية من التطور ، ففي مثل (قال) و(بات) كانت المرحلة الأولى وجودهما على نمط الصحيح : (قَوَلَ) و(بَيَتَ) كما هو الأصل الذي قرره اللغويون . وفي المرحلة الثانية حدث تسكين ، أو ضياع للحركة بعد الواو والياء للتخفيف ، فصار الفعلان : (قَوْلَ) و(بَيْتَ) . وفي المرحلة الثالثة حدث انكماش للصوت المركب[٣٤]، فتحولت الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة ، وتحولت الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة طويلة ممالة ، فأصبح الفعلان (قُول) و(بيت) . وفي المرحلة الرابعة والأخيرة تتحول الإمالة بنوعيها إلى الفتح الخالص ، فيصير الفعلان : (قال) ، و(بات). وقد طبق أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله هذه النظرية على شواهد عدة تبعث على الثقة فيها [٣٥] .

فإذا ما جئنا لتطبيق هذه النظرية على لفظ (ماء) سنجد أن لدينا طريقين ، أولهما : اعتماد الأصل (مَوَهٌ) الذي أشار إليه اللغويون على أنه هو المرحلة الأولى ، وثانيهما : أن نرجع بالظاهرة إلى الوراء ، منطلقين من المرحلة الأخيرة الموجودة لدينا (ماء) لنصل إلى الأصل المفقود قديما قبل أن تتشكل العربية الفصحى ، وذلك على النحو التالي:

(مَوَه) : نُطِق فيه اللفظ على نمط الصحيح

↓

(مَوْه) : مرحلة التسكين ، ويلاحظ أن اختفاء الهاء من النطق تخفيفا (مَوْ)، أو استبدال الهاء بالهمز هاهنا (مَوْء) ؛ أمر وارد تماما

↓

(مُوه / مُوء) : مرحلة انكماش الصوت المركب ، والضمة الطويلة هاهنا ممالة وليست خالصة

↓

(ماه / ماء) : مرحلة تحول الإمالة إلى الفتح الخالص

والملاحظ في تتبع هذه المراحل الافتراضية ، أننا حصلنا على لفظ (ماه) الذي تحدثت بعض المعاجم أنها أصل للفظ (ماء) .

أما إذا طبقنا تلك النظرية بتتبع اللفظ من الأحدث إلى الأقدم ، فسيكون افتراض التطور

التاريخي كالتالي :

(ماء) : مرحلة تحول الإمالة إلى الفتح الخالص .

(ماء) : مرحلة انكماش الصوت المركب ، وفيها كانت الحركة بعد صوت الميم إما ضمة طويلة ممالة ، أو كسرة طويلة ممالة كذلك: (مُوء / مِيء) . ويلاحظ أن اختفاء الهمز من النطق تخفيفا ، أو استبدال الهمز بالهاء هاهنا أمر وارد تماما : (مُو / مِي) أو : (مُوه / مِيه) .

(مَوْء / مَيْء) مرحلة التسكين ، ويلاحظ كذلك أن اختفاء الهمز من النطق تخفيفا ، أو استبدال الهمز بالهاء هاهنا أمر وارد تماما : (مَوْ / مَيّ) أو (مَوْه : مَيْه)

(مَوَء / مَيَأ) مرحلة النطق على نمط الصحيح ، أيضا مع ملاحظة أن اختفاء الهمز من النطق تخفيفا هو الأقرب لمنطق التطور ، وفقا لقانون السهولة والتيسير ، ليكون الأصل العربي المفقود للفظ الماء ، والمعاصر للهجات السامية الأخرى هو : (مَوَ) أو (مَيَا) .

وفي هذا التتبع التاريخي العكسي ، نرى أننا حصلنا على لفظة (مَيّ) التي أشار إليها الفراء ، والموجودة حتى يومنا هذا في بعض البيئات العربية . كما وصلنا إلى لفظ (مُو) الذي كان موجودا في الآشورية ، كما حصلنا على لفظ (مَيَا) ، وهو النطق الذي يكاد يتطابق مع النطق الذي كان موجودا في أكثر اللغات السامية القديمة ، كما سبق بيانه في أول هذا المبحث ، وهذه إشارات من شأنها تعزيز الثقة في هذه النتيجة .

وإذا كان كل من الشكلين السابق عرضهما افتراضيًّا ، فإننا نميل إلى الشكل الثاني ، لعثورنا فيه على تفسير لأكثر من صورة من صور نطق اللفظ . وما يتبقى من صور نطق لفظ (ماء) يمكن تفسيره كما يلي :

لفظ (ماهٌ) بالهاء يمكن أن يكون هو ذاته لفظ (ماءٌ) بالهمز ، ومعلوم أن كلا من الهاء والهمز يتبادلان في العديد من الألفاظ العربية [٣٦] .

وأما (ماةٌ) بالتاء ، فهي لفظ (ماءة) عينها بعد تسهيل همزتها .

كما أن (مأ) ما هي إلا لفظ (ماء) بعد تقصير حركتها الطويلة إلى قصيرة ، مع تخفيف همزتها بالحذف .

بل إننا نستطيع من خلال الشكل الثاني فهم النطق اللهجي المعاصر وتسويغه للفظ (ماء) في بعض البيئات العربية ، كـ(مَيَّة) ، و (مُويَة) ، فالأولى تطور صوتي عن (مَيّ) بإضافة هاء السكت أو تطور عن (مَيَا) بتشديد الياء . والثانية تطور صوتي متعاقب عن لفظ (مُو) السابق ذكره .

الفصل الثاني : (الماء) صرفيا ودلاليا

كما سبقت الإشارة في المقدمة ، فالدراسة اللغوية للفظ (الماء) في هذا البحث ، ستكتفي بالتعرض للجوانب الصرفية ، والدلالية . حيث سبق التعرض للجوانب الصوتية في الدراسة التاريخية . أما جانب التركيب فلم يجد الباحث أنماطا تركيبية مميزة للفظ الماء تستدعي إفرادها بالدراسة ، واكتفى الباحث بالإشارة إليها في ثنايا المسائل الصرفية والدلالية .

أولا : أصل لفظ (ماء) :

تكاد المعاجم العربية تُجمِع على أن الأحرف الأصلية للفظ (ماء) هي : الميم والواو والهاء ، وتحت هذا المدخل ذكرت المعاجم لفظ الماء ، باستثناء معجم العين للخليل بن أحمد ، الذي ذكره في مدخلين ، هما (موه) و(موم) [٣٧] .

أما الأصل القديم الذي انحدر منه لفظ الماء ، فأكثر المعاجم تذكر أن أصله : (مَوَه) أيضًا ، بفتح الميم والواو، وبعضهم يذكر ألفاظا أخرى . وقد جمع ابن منظور في اللسان ، والزبيدي في تاج العروس أقوال أهل اللغة ، بما يغني عن تكرار المذكور في غير هذين المعجمين ، ففي اللسان : " الماءُ والماهُ والماءةُ معروف . ابن سيده : وحكى بعضهم : اسْقِني ماً ، مقصور ، على أن سيبويه قد نفى أن يكون اسمٌ على حرفين أحدهما التنوين . وهمزةُ ماءٍ منقلبة عن هاء بدلالة ضُروبِ تصاريفه على ما أذكره الآن من جَمْعِه وتصغيره ، فإن تصغيره مُوَيْه ، وجمعُ الماءِ أمواهٌ ومِياهٌ ... قال الجوهري : الماءُ الذي يُشْرَب ، والهمزة فيه مبدلة من الهاء وفي موضع اللام ، وأصلُه مَوَهٌ بالتحريك ؛ لأنه يجمع على أمْواه في القِلّة ومِياهٍ في الكثرة مثل جَمَلٍ وأجْمالٍ وجِمالٍ ، والذاهبُ منه الهاءُ لأن تصغيره مُوَيْه ... قال ابن الأثير : أصل الماء مَوَهٌ ، وقال الليث : الماءُ مدَّتُه في الأصل زيادة وإنما هي خلف من هاءٍ محذوفة ، وبيان ذلك أن تصغيرَه مُوَيْهٌ ، ومن العرب من يقول : ماءة - كبني تميم - يعْنُون الرَّكِيَّة بمائها ، فمنهم مَنْ يَرْوِيها ممدودةً : ماءة ، ومنهم من يقول : هذه ماةٌ ؛ مقصورة ، وماءٌ كثير على قياس شاة وشاء . وقال أبو منصور : أصلُ الماء ماهٌ بوزن قاهٍ ، فثَقُلت الهاء مع الساكن قبلها فقلبوا الهاء مدَّةً فقالوا : ماء ، كما ترى . قال : والدليل على أن الأصل فيه الهاء قولهم : أماهَ فلانٌ رَكِيَّتَه ، وقد ماهَتِ الرَّكِيَّةُ ، وهذه مُوَيْهةٌ عَذْبة ، ويجمع مِياهاً . وقال الفراء : يُوقَفُ على الممدود بالقصر والمدَّ ؛ شَرِبْت ماء - قال وكان يجب أن يكون فيه ثلاثُ أَلِفاتٍ – قال : وسمعت هؤلاء يقولون : شربت مَيْ يا هذا ، وهذه بَيْ يا هذا ، وهذه بَ حَسَنة ، فشبَّهوا الممدودَ بالمقصور والمقصورَ بالممدود " [٣٨] .

وفي تاج العروس : " الماءُ ، والماهُ ، والماءَةُ واحِدٌ ، وهَمْزَةُ الماءِ مُنْقَلِبَة عن هاءٍ بدَلالَةِ ضُروبِ تَصَارِيفِه من التَّصغِيرِ والجَمْعِ ... " [٣٩] . وكرر المذكور في اللسان ، والمنقول عن كل من الليث ، وابن سيده ، والأزهري ، والجوهري ، والفراء .

فلدينا اتفاق – أو شبه اتفاق – حول أن أصل لفظ (ماء) هو (مَوَهٌ) ، وهذا لا يعني بالضرورة أن هذا الأصل (مَوَه) قد نُطق به بالفعل ثم تحول إلى (ماء) ، ولكنه تطبيق للقواعد الصرفية الحاكمة للغة العربية ، فإنهم لما رأوا أن حرف الهاء ثابت في تصاريف لفظ الماء مع زوال الهمزة ، كجمعه وتصغيره ، حكموا بأن الهمزة متحولة عن هاء ، ثم عرضوا تلك النتيجة على قواعد الإعلال والإبدال في اللغة العربية ، فانتهوا إلى ذلك التفسير ، بأن أصل (ماء) هو (موه). وهذا الأمر شائع في الأحكام التي أطلقها الصرفيون حول أصل بعض الألفاظ ، فهو لا يعدو أن يكون إثباتا لاضطراد القاعدة الصرفية ، أكثر من كونه تقريرا لواقع نطق هذا اللفظ أو ذاك فيما مضى [٤٠].

وفي المصباح المنير زيادةُ إيضاح عن تحول (موه) إلى (ماء) ، يقول: " المَاءُ أَصْلُهُ مَوَهٌ ، فَقُلِبَتْ الْوَاوُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا ، فَاجْتَمَعَ حَرْفَانِ خَفِيَّانِ فَقُلِبَتْ الْهَاءُ هَمْزَةً ، وَلَمْ تُقْلَبْ الْأَلِفُ لِأَنَّهَا أُعِلَّتْ مَرَّةً ، وَالْعَرَبُ لَا تَجْمَعُ عَلَى الْحَرْفِ إعْلَالَيْنِ ، وَلِهَذَا يُرَدُّ إلَى أَصْلِهِ فِي الْجَمْعِ وَالتَّصْغِيرِ فَيُقَالُ : مِيَاهٌ وَمُوَيْهٌ " [٤١].

وفي تفسير القرطبي : " وأصل الماء موه ، قلبت الواو ألفا لتحركها وتحرك ما قبلها فقلت : ماه ، فالتقى حرفان خفيان فأبدلت من الهاء همزة، لأنها أجلد ، وهي بالألف أشبه ، فقلت: ماء ، الألف الأولى عين الفعل ، وبعدها الهمزة التي هي بدل من الهاء ، وبعد الهمزة ألف بدل من التنوين . قال أبو الحسن : لا يجوز أن يكتب إلا بألفين عند البصريين ، وإن شئت بثلاث ، فإذا جمعوا أو صغروا ردوا إلى الأصل فقالوا : مويه وأمواه ومياه ، مثل جمال وأجمال " [٤٢].

وبصرف النظر عن الخلط بين الهمزة كصوت صامت ، وبين ألف المد الذي هو عبارة عن حركة طويلة ، فإن المذكور في المصباح المنير وتفسير القرطبي قول يتفق مع القواعد المستقرة عند علماء العربية ؛ فالواو المتحركة إذا وقعت عينا تُقلب ألفا باتفاق ، ففي كلامه عن الإعلال ، باب القول في الواو والياء عينين ، قال الخوارزمي : " العين إذا تحركت وانفتح ما قبلها فإنها تقلب ألفا "[٤٣] .

أما مسألة خفاء صوتي الهمزة والهاء ، فهما كذلك عند القدامى والمحدثين ، فكلاهما صوت حنجري ، مهموس ، مرقق ، يختلفان في أن الهمزة صوت انفجاري ، وأن الهاء صوت احتكاكي . " ولكونهما من مخرج واحد ويشتركان في أكثر الصفات ؛ تصير إحداهما إلى الأخرى ، وقد قالوا ماء والأصل بالهاء ، وقالوا هرقت في أرقت " [٤٤]، وهو أمر شائع في العربية ولا خلاف عليه . فتفسير الفيومي في المصباح المنير يرتكز أساسا على القواعد التي وضعها أهل اللغة – وهو أمر لا غضاضة فيه - لا على شواهد تؤيد وجود هذا النطق في الماضي أو تنفيه .

ثانيا : تذكير لفظ (ماء) وتأنيثه :

ورد لفظ (الماء) في المعاجم مذكرا ومؤنثا ، ففي تاج العروس: " ومِن العَرَبِ مَنْ يقولُ : ماءَةٌ ، كبَني تمِيمٍ ، يعْنُونَ الرَّكِيَّة بمائِها ، فمنهم مَنْ يَرْوِيها

مَمْدودَةً : ماءَةٌ ، ومنهم مَنْ يقولُ : هذه ماةٌ ، مَقصورٌ، وماءٌ ، على قياس شَاة وشَاء " [٤٥].

وقال ابْنُ مَنْظُور : " وَفِي حَديث الحَجَّاج : مَاءٌ عِذَابٌ . يُقَالُ : مَاءَةٌ عَذْبَةٌ ، وَمَاءٌ عذَابٌ ، عَلَى الجَمْع ؛ لأَنَّ المَاءَ جِنْسٌ لِلْمَاءَة " [٤٦].

وقالَ الجَوْهري في الصحاح : " وإذا أَنَّثْتَه قُلْتَ : ماءَةٌ ، مثْلُ ماعَةٍ " [٤٧].

وفي تهذيب اللغة : " وأصل الماء : ماه ، والواحدة : ماهَةٌ ، وماءَةٌ " [٤٨].

فلدينا إذن ثلاث صور للتأنيث ، هي : ماءة ، وماهة ، وماة . وقد أشرنا قبلا أن (ماة) عبارة عن تطور صوتي لـ(ماءة) بتسهيل الهمز ، وأما (ماهة) فهي تطور بإبدال الهمز هاء .

وعلى الرغم من وجود أكثر من صيغة تأنيث للفظ الماء ، فإنه لم يرد لفظ (الماء) في القرآن والسنة إلا مذكرا فقط ، دلت عليه الأفعال والضمائر المصاحبة للفظ في التراكيب الواردة ، في حين لم يرد (ماءة) ولا (ماة) ولا (ماهة)، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ﴾[سورة البقرة ٧٤/٢] ، وقوله ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾[سورة الكهف ٤١/١٨] .

وذات الأمر نجده في الحديث النبوي ، ومن ذلك : " فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَصَبَبْتُ مِنَ المَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ " [٤٩]. وفيه كذلك : " لاَ تَبُلْ فِى المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِى لاَ يَجْرِى ثُمَّ تَغْتَسِلُ مِنْهُ " [٥٠].

كما ورد لفظ (ماء) مذكرا في أمثلة لا تُحصى ، مرّ ذكر بعضها في الفصل الأول من هذا البحث، ولم أجده مؤنثا إلا في مثال واحد ، حيث ورد لفظ (ماءة) في شرح بيت لأبي الإصبع العدواني في خزانة الأدب : " وَقَالَ أَبُو حنيفَة الدينَوَري: قرى: ماءة قريبَة من تبَالَة " [٥١].

ثالثا : إفراد لفظ (ماء) وجمعه :

ذكرت المعاجم أن الماء يُجمع على أمواه ، ومياه ، وأمواء . وهو اسم جنس إفرادي عند أكثر اللغويين ، وذكر بعضهم أن لفظ الماء اسم جنس جمعي ، ولكل رأي وجاهته ، وإن كانت الشواهد الفصيحة تصب في صالح الرأي الأول [٥٢].

ففي اللسان : " وأصله مَوَهٌ بالتحريك ، لأَنَّه يجمع على أَمْواهٍ في القِلَّةِ ومياهٍ في الكثرة مثل جَمَلٍ وأَجْمالٍ وجِمالٍ " [٥٣].

وفي تاج العروس :"(الماءُ) : اسمُ جِنْسٍ إفراديّ ، كما قالَهُ الفاكِهيُّ ، ونَقَلَ ابنُ وَلاَّد في المَقْصورِ والمَمْدودِ أَنَّه جَمْعيٌّ ، يفرقُ بَيْنه وبينَ واحِدِهِ بالهاءِ ... وقيلَ : أَصْلُ الماءِ : مَاهٌ ، والواحِدَةُ : ماءَةٌ وَماهَةٌ ... ويُجْمَعُ الماءُ على أَمْواءٍ ؛ حَكَاهُ ابنُ جنّي " [٥٤].

وفي المصباح المنير : " وَلِهَذَا يُرَدُّ إِلَى أَصْلِهِ فِي الْجَمْعِ وَالتَّصْغِيرِ فَيُقَالُ مِيَاهٌ وَمُوَيْهٌ وَقَالُوا أَمْوَاهٌ أَيْضًا مِثْلُ بَابٍ وَأَبْوَابٍ وَرُبَّمَا قَالُوا أَمْوَاءٌ بِالْهَمْزِ عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ " [٥٥].

وفي النهاية (مويه) : " وأصلُ الماءِ : مَوَهٌ ويُجمع على أَمْواهٍ وَمياهٍ وقد جاء

أمْوَاه " [٥٦].

ولم يُذكر في القرآن الكريم لفظ (مياه) ، وإن كان ورد عند المفسرين ، كما عند الطبري في قوله : " وَإِنَّمَا قِيلَ : فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، وَالِالْتِقَاءُ لَا يَكُونُ مِنْ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا ، لِأَنَّ الْمَاءَ قَدْ يَكُونُ جَمْعًا وَوَاحِدًا ، وَأُرِيدَ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : مِيَاهُ السَّمَاءِ وَمِيَاهُ الْأَرْضِ ، فَخَرَجَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ وَقِيلَ : الْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ " [٥٧].

ولم يُذكر في الحديث الشريف من تلك الجموع سوى (مياه) فقط ، وذلك مثل ما ورد في الحديث الشريف : " فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ"[٥٨] . ومثل : " فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالمريسيع ماء من مياه بني المصطلق " [٥٩]. وما روي عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ قَالَ : " كُنْت مَعَ أَبِي فِي سَفَرٍ وَنَزَلْنَا بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْأَعْرَابِ " [٦٠].

وفي شروح الحديث يبدو أن لفظ (مياه) يستخدم مرادفا للفظ (ماء) لا جمعا له ، نقرأ في تحفة الأحوذي : " مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا ؛ أَيْ مِنْ مِيَاهِ الدُّنْيَا ، شَرْبَةَ مَاءٍ ، أَيْ يُمَتِّعُ الْكَافِرَ مِنْهَا أَدْنَى تَمَتُّعٍ " [٦١].

وفي عون المعبود : " يُسْتَعْذَب لَهُ الْمَاءُ ، بِصِيغَةِ الْمَجْهُول ؛ أَيْ يُجَاء بِالْمَاءِ الْعَذْب وَهُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا مُلُوحَة فِيهِ ، لِأَنَّ مِيَاه الْمَدِينَة كَانَتْ مَالِحَة " [٦٢].

وفي غريب الحديث للحربي : " وقال أبو زيد : ماء غمر ومياه غمر "[٦٣].

واستخدم شعراء العربية من قديم لفظ (مياه) مرادفا للماء لا جمعا له ، ولفظ (مياه) يتلو لفظ (ماء) من حيث شيوع الاستخدام ، ومن ذلك شعر المرقش الأكبر (ت ٧٢ ق.هـ):

بيضٌ مَصَالِيتٌ وُجُوهُهُمُ لَيْسَتْ مِيَاهُ بحَارِهِمْ بعُمُمْ [٦٤]

ولطرفة بن العبد (ت ٦٠ ق. هـ):

تَرَبّعُهُ مِرْباعُهَا ومَصِيفُها مِياهٌ، مِنَ الأشرافِ، يُرمى بها الحجلْ [٦٥]

وللنابغة الذبياني (ت ١٨ ق. هـ):

تظل الإماء يبتدرن قديحها كما ابتدرت سعد مياه قراق [٦٦]

كما ورد عندهم (أمواه) ، كقول هند السدوسية ، وهي جاهلية :

ألا أرى ماء الصبح شافياً نفوساً إلى أمواه بقعاء نزعاً [٦٧]

ومما يُنسب لبلال رضي الله عنه (ت ٢٠هـ):

وَهل أردنْ يَوْمًا مياه مجنّة وَهل يبدونْ لى شامة وطفيل [٦٨]

وعند الأخطل وهو أموي (ت ٩٢ هـ):

حَلَّت صُبَيرَةُ أمواهَ العِدادِ وَقَد كانَت تَحُلُّ وَأدنى دارها نُكُدُ [٦٩]

أما الجمع (أمواء) فلم أعثر له على أمثلة فيما طالعت .

رابعا : تصغير لفظ (ماء) :
في تهذيب اللغة : " وتصغيرُ الماء : مُوَيْهٌ . والجميعُ المياه " [٧٠].
وفي اللسان : " تصغيره مُوَيْه ، وجمعُ الماءِ : أمواهٌ ومِياهٌ ، وحكى ابن جني في جمعه أَمْواء " . وفيه كذلك : " وهذه مُوَيْهَةٌ عَذْبَةٌ " [٧١].
وفي النهاية (مويه) : " كان موسى عليه السلام يغتسل عند مُوَيْهٍ " هو تصغير ماء " [٧٢].
ولم يرد هذا التصغير في القرآن الكريم ، أو لدى المفسرين ، ولكن ورد هذا التصغير في الحديث ، وذلك عند مسلم : " فَاغْتَسَلَ عِنْدَ مُوَيْهٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ " [٧٣].
وفي شرح النووي على مسلم (من فضائل موسى عليه السلام) : " قَوْله : فَاغْتَسَلَ عِنْد مُوَيْهٍ ، هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيع نُسَخ بِلَادنَا وَمُعْظَم غَيْرهَا (مُوَيْه) بِضَمِّ الْمِيم وَفَتْح الْوَاو وَإِسْكَان الْيَاء ، وَهُوَ تَصْغِيرُ مَاءٍ ، وَأَصْله (مَوْه) ، وَالتَّصْغِير يَرُدُّ الْأَشْيَاء إِلَى أُصُولهَا . وَقَالَ الْقَاضِي : وَقَعَ فِي بَعْض الرِّوَايَات (مُوَيْه) كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَفِي مُعْظَمهَا (مَشْرَبَة) بِفَتْحِ الْمِيم وَإِسْكَان الشِّين ، وَهِيَ حُفْرَةٌ فِي أَصْل النَّخْلَة يُجْمَعُ الْمَاءُ فِيهَا لِسَقْيهَا . قَالَ الْقَاضِي : وَأَظُنُّ الْأَوَّل تَصْحِيفًا كَمَا سَبَقَ - وَاَللَّه أَعْلَم " [٧٤].
ولم أقف على التصغير (مُوَيْه) عند الشعراء المتقدمين ، ووجدته فقط عند حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٧ م)

لَم تزَل مِن قَدِيم دَهري تَرَى عَيـ نِي مُوَيهَ الوَادِي حَشَا بَرَّادَه [٧٥]

خامسا : النسب إلى لفظ (ماء) :
ذكرت المعاجم ثلاثة أوجه للنسب إلى (ماء) ، فذكروا : مائي ، وماهي ، وماوي ، ففي تاج العروس : " والنِّسْبةُ إلى الماءِ : مائِيٌّ ، وماويٌّ في قَوْلِ مَنْ يقولُ عَطاوِيّ ؛ كما في الصِّحاح . وفي التَّهذِيبِ : ماهِيٌّ . قُلْتُ : ومنه تَسْمِيَة الفُرْس للسَّمَكِ : ماهِيٌّ . وجَزَمَ عبدُ القادِرِ البَغْدادِيّ في حاشِيَةِ الكعْبِيَّةِ أَنَّه لا يقالُ ماوِيٌّ "[٧٦].
وفي النهاية : " والنَّسَبُ إليه : ماهِيٌّ ومائِيٌّ على الأصل واللفْظ " [٧٧].
ولم يرد في القرآن الكريم ألفاظ النسبة إلى الماء ، وإن كان المفسرون قد استخدموها كثيرا ، من ذلك قول الفخر الرازي : " والسمك كله كذلك ، ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي ، ولكنه يتنفس من الهواء مثل السلحفاة المائية ، ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي وليس يتنفس ولا يستنشق مثل أصناف من الصدف "[٧٨].
وقد ورد في الحديث لفظ (مائيّ) ، على النسبة لا بالإضافة إلى ياء المتكلم ، في قوله : " فدعاني بالميضأة فأتيته بها فاصطبها ، ثم جعل يصب لهم ، فتوضأ لهم ، فشربوا حتى رووا وتوضؤوا ، وملؤوا كل إناء معهم حتى جعل يقول : هل من مائي " [٧٩].

ووردت النسبة كذلك في شروح الحديث ، كما في فتح الباري : " ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف بدليل خفتها " [٨٠].

وأما في الشعر فأكثر ورود لفظ (مائي) إنما هو على الإضافة إلى ياء المتكلم ، لا على النسبة ، وذلك نحو قول النمر بن تولب (ت ١٤ هـ):

وَلا أسقى وَلا يُسقى شَرِيبي وَمَنَعُهُ إذا أورَدتُ مائي [٨١]

وأما ورود ذلك اللفظ على النسبة فأمثلته نادرة عند القدماء ، ومن ذلك قول ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨هـ) :

لَهَبيُّ السّخط مائِيُّ الرِّضَى فَهوَ المَعشوقُ كَيفَ اِتَّجَهَا [٨٢]

أما ماهي ، وماوي ، فلم أعثر عليهما في الأدب العربي شعره ونثره . علما بأن هذه الألفاظ الثلاثة المذكورة في النسبة إلى (ماء): مائي ، وماهي ، وماوي ، ما هي إلا تنوعات لهجية للفظ واحد على الحقيقة، فالهمزة والهاء يتبادلان – كما سبقت الإشارة – والواو ما هي إلا تسهيل للهمز .

سادسا : البنى المشتقة من لفظ (ماء) :

اشتق من لفظ الماء في اللغة العربية ألفاظ عدة ، بعضها له علاقة مباشرة بالحقل الدلالي للفظ (الماء) ، وأكثرها مشتق على سبيل التشبيه أو المجاز أو الاستعارة ، استنادا إلى صفة أو أكثر من صفات الماء وخواصه ، كالنقاء والصفاء ، والسيولة والانسيابية ، وقوته عند جريانه ، وضعفه وليونته عند سكونه ، إلى آخر هذه الصفات والخواص . ومما ورد في المعاجم من ذلك بصيغة الفعل [٨٣]:

١. مَاهَ :

وهو يأتي فعلا لازما ، ومن أمثلته :

- ماهتِ السَّفينةُ تَمُوهُ ، وتَماهُ : إذا دَخَلَ فيها الماءُ .
- ماهتِ البئرُ ، وهي تَمُوه ، وتَمَاه : كثر ماؤها .
- مَاهَتْ الرَّكِيَّةُ تَمُوهُ ، وتَميهُ ، وَتَمَاهُ مَوْهًا ومَيْهًا ومُؤوهاً ومَاهَةً ومَيْهَةً : إذا ظهر ماؤها وكثُر .

ومن استخداماته المجازية كفعل لازم :

- ماهَ الرَّجُلُ : خَلَطَ في كَلامِهِ .

ويأتي (ماه) فعلا متعدّيًا أيضا ، ومنه :

- مِهْتُهُ ، ومُهْتُهُ ، بالكسْرِ وبالضمِّ : أي سَقَيْتُه الماءَ .

ومن استخداماته المجازية كفعل متعدٍّ :

- ماهَ الشيءَ بالشيءِ مَوْهاً : خَلَطَهُ .
- مِهْتُ الرجلَ ، ومُهْتُهُ ، بكسر الميم وضمِّها : وصفته بالبلادة والجبن ؛ كأنَّ قلبَهُ في ماءٍ .

٢. أماه :

وهو يأتي فعلا لازما ، ومن أمثلته :

- أمَاهتْ البئرُ ، وهي تَمُوه ، وتَمَاه : كثر ماؤها .
- أماهتِ الأرضُ : أي ظَهَر فيها النَّزُ .
- أمَاهَتِ السماءُ : أسالتْ ماءً كثيراً .
- أماهتِ السفينةُ : إذا دَخَلَ فيها الماءُ .
- أمَاهَ الْحَافِرُ : بَلَغَ الْمَاءَ .
- أمَاهَ الْمُجَامِعُ : أَلْقَى مَاءَهُ .
- أماهَ الفحلُ ، إذا ألقى ماءهُ في رحم الأنثى ، وذلكَ المَاءُ يُسَمَّى المَها .

ومن المجاز :

- أماهَ الشيءُ : خُلِط ولُبس ؛ من التمويه .

ويأتي (أماه) فعلا متعدّيًا أيضا ، ومنه :

- أمَاهَ اللَّهُ البئرَ أو الركَّيةَ : أكْثرَ مَاءَهَا .
- أمَاهَ الركية : أنْبَطَ ماءَها ؛ أي استخرَجه .
- أماهَ الدَّواةَ : صَبَّ فيها الماءَ .
- أمَاهَ حَوْضَهُ تَمْويهاً : جَمَعَ فيه الماءَ .
- أمَاهَ الرجلَ إمَاهَةً [٨٤]: سقاه .
- أماهَ الدابة : سَقَاها . ويقالُ : أمِيهُوا دَوابَّكُم .
- أمَاهَ السكينَ : إذا سقيتَه الماءَ ، وذلكَ حينَ تَسُنُّه به .
- أمَاهَ الدواةَ: صبَّ فيها الماءَ .

ويُلاحظ أن الفعل (أماه) كثيرا ما يُرادفه الفعل أمْهَى ، كما سيأتي .

٣. أمهَى :

ومن أمثلته لازما :

- أمْهَى الْحَافِرُ : بَلَغَ الْمَاءَ .

ومن أمثلته متعديا :

- أمْهَى الرجلَ إمَاهَةً : سقاه . ويقال : أمْهِني ؛ أي اسْقِنِي .

وجاء متعديا على سبيل المجاز ، وذلك في قولهم :

- أمْهَى السيفَ : أي أرَقَّه كَرِقَّةِ الماءِ ، وسيف أبْيَضُ مَهْوٌ : رقيق الشفرتين [٨٥].
- أمْهَى السكينَ : إذا سقاه الماءَ ، وذلكَ حينَ تَسُنُّه به .

٤. أمْوَهَ :

ولم يرد هذا الفعل إلا لازما ، في قولهم :

- أمْوَهَ الحَافِرُ : بَلَغَ المَاءَ .

٥. مَوَّهَ :

وهو يأتي لازما ومتعديا ، فمن اللازم :

- مَوَّهت السماءُ ، وأمَاهَتْ ، أسالتْ ماءً كثيراً .
- مَوَّهَ المَوْضِعُ تَمْوِيهاً : صارَ ذا ماءٍ .

ومن المتعدي :

- مَوَّهَ حَوْضَهُ تَمْويهاً : جَمَعَ فيه الماءَ .
- مَوَّهَ القِدْرَ : أكْثَرَ مَاءَها .

ومنه على سبيل المجاز :

- مَوَّهَ الشيءَ : طلاه بفضَّةٍ أو ذهبٍ ، وتحتَ ذلك نُحاسٌ أو حديدٌ .
- مَوَّهَ فلان عَليَّ الحَدِيثَ : أي حَسَّنَه ، حتى كأنَّه جعل عليه طَلاوةً وماءً .
- مَوَّهَ الخَبَرَ عليه تَمْوِيهاً : أخْبَرَهُ بخِلافِ ما سألَه ، ومنه حدِيثٌ مُمَوَّهٌ ، أي مُزَخْرفٌ . وسرجٌ مُمَوَّهٌ : أي مَطْليٌّ بذَهَبٍ أو فِضَّةٍ .

٦. مَيَّهَ :

ولم يأت إلا متعديا ، في قولهم :

- مَيَّهْتُ السيفَ تَمْيِيهاً إذا وضعته في الشمس حتى ذهب ماؤه[٨٦].

٧. تَمَوَّهَ :

ولم يأت إلا لازما ، ومن أمثلته :

- تَمَوَّهَ المالُ للسِّمَن : إذا جَرَى في لحُومِهِ الرَّبيعُ [٨٧].
- تَمَوَّهَ العِنَبُ : إذا جَرَى فيهِ اليَنْعُ وحَسُنَ لَوْنُه ، أو امْتَلأ ماءً وتَهَيَّأ للنّضْج ؛ وكَذلِكَ يقال تَمَوَّهَ النَّخْلُ .
- تَمَوَّهَ المَكانُ : صارَ مُمَوَّهاً بالبَقْلِ .

ومن الأسماء التي اشتقت من لفظ الماء ، وأكثرها على سبيل المجاز :

٨. التَّمْوِيه :

- التَّمْويهُ : التَّلْبيسُ والخداع ، ومنه قيلَ للمُخادِعِ : مُمَوِّهٌ . وقد مَوَّهَ فلانٌ باطِلَه إذا زَيَّنَه وأراه في صورةِ الحقِّ . ومنه حدِيثٌ مُمَوَّهٌ ، أي مُزَخْرفٌ ، ووَجْهٌ مُمَوَّهٌ : مُزَيَّنٌ بماءِ الشَّبابِ ، وسرجٌ مُمَوَّهٌ : أي مَطْليٌّ بذَهَبٍ أو فِضَّةٍ .

٩. المَاهُ :

- رجلٌ ماهٌ ، أي جَبَانٌ ، أو أحمقُ ، أو بَلِيدٌ ؛ كأنَّ قلْبَهُ في ماءٍ . والأصْلُ : مائِهُ القَلْبِ ؛ لأنَّه مِن مُهْتُ .

١٠. المَاهَةُ :

- الرَّكِيَّةُ مَاهَةٌ : إذا كانت كثيرة الماء .
- الماهَةُ : الجُدَرِيُّ . ومنه قَوْلُهم في الدُّعاءِ على الإنسان : آهَةٌ وماهَةٌ ، فالآهة : الحَصْبَةُ ، والمَاهَةُ : الجُدَرِيُّ [٨٨].

١١. المَاهِيّ :

- رجلٌ ماهِيٌّ ، أي جَبَانٌ ، أو أحمقُ ، أو بَلِيدٌ ؛ كأنَّ قلْبَهُ في ماءٍ .

١٢. المَاوِيَّة :

- الماوِيَّةُ: المِرآةُ ، كأنَّها منسوبةٌ إلى الماء . جاء في التاج : " والماوِيَّةُ : المِرْآةُ التي يُنْظرُ فيها ، صفَةٌ غالبَةٌ ، كأنَّها نُسِبَتْ إلى الماءِ لصَفائِها حتى كأنَّ الماءَ يَجْرِي فيها ، والجمع : ماوِيٌّ " [٨٩]. وسموا بعض نسائهم بـــ(ماوية) قالَ في التاج : " سُمِّيَت المرْأةُ ماوِيَّة ، تَشْبيهاً لها بالمرْآةِ في صفائِها " [٩٠].
- والماوِيَّةُ : البَقَرَةُ لبَياضِها .

١٣. المَها :

- المَها : ماءُ الفَحْلِ في رحِمِ النَّاقةِ .
- المَها : الحَجَرُ .

١٤. المَهْوُ :

- وسيف أبْيَضُ مَهْوٌ : رقيق الشفرتين .

١٥. المُوَاهَةُ :

- المُواهَةُ ، بالضَّمِّ ، مثل المُوهَةُ : الحُسْنُ والحَلاوَةُ ، ويقال : ما أحْسَنَ مُوهَة وجْهه ومُواهَتَهُ ، بضمِّهما ، أي حُسْنُهُ وحَلاوَتُهُ .

١٦. المُوهَةُ :

- المُوهَةُ ، بالضم أيضا : تَرَقْرُقُ الماءِ في وَجْهِ المرْأةِ الشابَّةِ الجَميلَةِ .
- المُوهَةُ ، بالضمِّ أيضا : لوْنُ الماءِ .
- المُوهَةُ ، بالضَّمِّ : الحُسْنُ والحَلاوَةُ ، ومُوهَةُ الشّبابِ : حُسْنُه وصَفاؤُهُ ، يقال : هو مُوهَةُ أهْلِ بيْتِه . ويقالُ : كَلامٌ عليه مُوهَةٌ ، ويقال : ما أحْسَنَ مُوهَة

وجْهه ، أي حُسْنُهُ وحَلاوَتُهُ .

١٧. المُوَّهَةُ :

- المُوَّهَةُ ، كقُبَّرَةٍ : مثل المُوهَةُ السابق .

١٨. المَوَهِيُّ :

- المَوَهِيُّ : الشجرٌ الذي يُسْقَى ، عكسه الشجرٌ الجَزَوِيٌّ الذي يشْرَبُ بعُرُوقِه ولا يُسْقَى .

١٩. المَيْهُ :

- المَيْه : طِلاء السيفِ وغيره بماء الذهب .

٢٠. المَيِّهَةُ :

- الرَّكِيَّةُ مَيِّهَةٌ - ككَيِّسَةٍ - إذا كانت كثيرة الماء ، مثل الماهة . ويقال : هي أمْيَهُ مِمَّا كانتْ ، وأمْوَهُ مِمَّا كانتْ .

وبالإضافة إلى ذلك فهناك أسماء مركبة من لفظ الماء مع ألفاظ أخرى ، ومنها :

- ماء السماء لقب عامر بن حارثة الأزدي ، لقبوه بماء السماء ؛ لأنهم كانوا إذا أجدب قومه مانَهم حتى يأتيهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنه خَلَفٌ منه . وقيل لولده ملوك الشام : بنو ماء السماء . وماءُ السماء أيضاً لقَبُ أمّ المُنْذِر بن امْرِئ القَيْس بن عَمْرو بن عَدِيّ بن ربيعة بن نَصْرِ اللَّخْمِيّ ، وهي ابنة عَوْفِ بن جُشَمَ من النَّمِر بن قاسِطٍ ، وسميت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها بنُو ماءِ السماءِ ، وهم ملوك العراق .
- وبنو ماء السماء : العرب ، بخلاف بني ماء السماء السابق ذكرهم ، وفي حديث أبي هريرة : أُمُّكم هاجَرُ يا بني ماءِ السماء ؛ يريد العربَ لأنهم كانوا يَتَّبعون قَطْرَ السماء .
- وماءُ اللَّحْمِ : الدَّمُ ؛ ومنه قَوْلُ ساعِدَةَ بن جُؤَيَّة يَهْجُو امْرأةً :

شَرُوبٌ لماءِ اللحمِ في كلِّ شَتْوةٍ وإن لم تَجِدْ مَنْ يُنْزِلُ الدَّرَّ تَحْلُبِ [٩١]

وقيلَ : عَنَى به المَرَقَ تَحْسُوه دُونَ عِيالِها .

- وثَوْبُ الماءِ : الغِرْسُ الذي يكونُ على المَوْلودِ .

هذا بالإضافة إلى الألفاظ التي لها علاقة بالحقل الدلالي للماء ، دون أن يُذكر فيها لفظ الماء أو حروفه المكونة له ، ففي الخصائص : " وكذلك قالوا : جارية . فهي فاعلة ، من جرى الماءُ وغيره ، ألا ترى أنهم يقولون : إنها غضَّة بضَّة رَطْبة ، ولذلك قالوا : قد علاها ماء الشباب " [٩٢].

فلفظ " جارية " لا توجد بينه وبين " الماء " صلة منظورة ، إلا أن الفتاة الصغيرة لم يُطلق عليها " جارية " إلا لذلك الشبه بينها وبين الماء في الطراوة والليونة . ومثل هذه الألفاظ كثير ، وهي بحاجة إلى دراسة للكشف عن مدى تغلغل لفظ الماء في المعجم العربي ، وكونه من الألفاظ الحاكمة ، إن جاز التعبير ، والتي من خلالها يمكن فهم واستنباط الاشتقاقات والمجازات لكثير من الألفاظ العربية .

سابعا : دلالة لفظ (ماء) ، وتطورها :

أكثر المعاجم لم يقدم تعريفا – ولو تقريبيا – للماء ، وإن كان في بعضها الآخر محاولات أو إشارات خافتة لتعريف الماء ، ففي تاج العروس قال الزبيدي عن الماء : " مَعْروفٌ ، أي الذي يُشْرَبُ . وقالَ قوْمٌ : هو جَوْهَرٌ لا لوْنَ له ، وإنّما يتكيَّفُ بلَوْنِ مَقابله . قيلَ : والحقُّ خِلافُه ، فقيلَ أبْيَضُ ، وقيلَ أسْودُ ؛ نَقَلَهُ ابنُ حَجَر المكّيُّ في شرْحِ الهَمْزيَّة . قالَ شيْخُنا : والعَرَبُ لا تَعْرفُ هذا ولا تَخُوضُ فيه ، بل هو عنْدَهُم مِنَ الأمْرِ المَعْروفِ الذي لا يحتاجُ إلى الشَّرْح " [٩٣].

وفي الصحاح للجوهري : " الماءُ: الذي يُشْرَبُ " [٩٤]. وفي البحر المحيط :" وقال بعضهم : هو جوهر سيال به قوام الحيوان ووزنه " [٩٥].

فهي تعريفات مقتضبة للفظ الماء ، والأكثرون على ما نقله الزبيدي في تاج العروس عن شيخه ، أنه أشهر من أن يُعرَّف .

ويعد المذكور في المعجم الوسيط من أوفى ما قيل في تعريف الماء في المعاجم العربية ، ففيه : " (الماء) سائل عليه عماد الحياة في الأرض ، يتركب من اتحاد الإدرجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم من الثاني ، وهو في نقائه شفاف لا لون له ولا طعم ولا رائحة ، ومنه العذب والمالح والمعدني والمقطر والعسر وماء الزهر " [٩٦]. وهو تعريف يستوفي الشروط الواجب توافرها في التعريف ، دون اعتماد على دور ، أو إحالة ، أو إبهام ، أو اكتفاء بلفظ " معروف "، كما أنه استفاد مما اكتشفه العلم الحديث من معارف .

وهذا التعريف ينطبق على الماء الذي نشربه ونغتسل منه ، أو بالعبارة المختصرة للمعاجم القديمة : الماء المعروف . ولكن بالعودة إلى ما ذكرته المعاجم ، وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، نجد أن دلالة لفظ الماء قد حدث لها اتساع دلالي كبير ، فلم تعد دلالة لفظ الماء مقتصرة على الماء الذي نعرفه، والذي عرَّفه المعجم الوسيط ذلك التعريف المتميز ، بل تعدته للدلالة على كل سائل ، وأصبح لفظ الماء كالضد لكل من الصلب والغازي .

وقد مرَّ بنا في الألفاظ المشتقة من لفظ الماء ، كيف أنها دلت على أمور عدة لها صلة بلفظ الماء ، ولو بأدنى ملابسة ، كالليونة ، والسيولة ، والطراوة ، والنقاء ... الخ .

ومن الدلالات الواردة في القرآن الكريم للفظ الماء دلالته على نطفة الرجل ، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[سورة السجدة ٨/٣٢] ، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[سورة المرسلات ٢٠/٧٧]، ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ

بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[سورة الطارق ٨٦/٦-٧] . نجد أن الماء في المواضع السابقة وما أشبهها يدل على النطفة التي يخلق الله منها الإنسان ، وجاء إطلاق لفظ ماء عليها إما لسيولتها كسيولة الماء ، وإما لأن غالب تركيبها من الماء ، كما بيَّن الله تعالى في قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأنبياء ٢١/٣٠]

ومما يماثل ذلك في الحديث النبوي قوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل : فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ قَالَ : " إِذَا رَأَتِ المَاءَ" [٩٧]، فالماء هاهنا ماء المرأة . وقوله : " وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا " [٩٨].

ومما هو على شاكلته كذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم : " فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " [٩٩]. وماء الحياة كما ورد في الأحاديث أشبه ما يكون بمني الرجل .

ومن شواهد الاتساع للدلالة على كل سائل حديث : " الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءُ العَيْنِ " [١٠٠]. فالذي يسيل من الكمأة سمَّاه ماءً . وقس على ذلك كثير .

ومن الاتساع الدلالي للفظ الماء كذلك أنه قد يُطلق مجازا على موضع الماء ، ففي الحديث : " وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ ... وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ " [١٠١]. ومفهوم أن الماء في الموضعين الأولين المقصود به البئر مجازا .

وأما في الأدب العربي ، فقد كان الاتساع الدلالي للفظ الماء ، ودلالته أوضح ، حيث دلَّ على كل ما يسيل ، أو يتميز بالليونة والطراوة ، ولم يك مقصورا على الماء المشروب فحسب ، فمن ذلك قول الشنفرى (ت ٧٠ ق. هـ) :

وَأبيَضُ مِن ماءِ الحَديدِ مُهَنَّدٌ مُجِدٌّ لِأَطرافِ السَواعِدِ مِقطَفُ [١٠٢]

ومثله قول عروة بن الورد (ت٣٠ ق. هـ) :

فإني وإياكم كذي الأم أرهنت له ماء عينيها تُفَدِّي وتحمِل [١٠٣]

ونحوه قول أوس بن حجر (ت ٢ ق. هـ) :

فلما نجا من ذلك الكرب لم يزل يُمَظِّعُها ماءَ اللِّحاء لتذبُلا [١٠٤]

وكقول أبي حية النميري (ت ١٨٣ هـ):

كأنَّ ذراعَيْها وظِيفا نعامةٍ ووجهٌ لها لا ماءَ فيهِ نَكيرُ [١٠٥]

وكقول أبي نواس (ت ١٩٨ هـ) :

فَنَحنُ مَلَكنا الأَرضَ شَرقاً وَمَغرِباً وَشَيخُكَ ماءٌ في التَرائِبِ وَالصُلبِ [١٠٦]

ونحوه قول المتنبي (٣٥٤ هـ) :

فَذُقتُ ماءَ حَياةٍ مِن مُقَبِّلِها لَو صابَ تُرباً لَأَحيا سالِفَ الأُمَمِ [١٠٧]

والمعاني الواردة في الأبيات السابقة أوضح من البيان ، فهي لا تدل على الماء المشروب ، وإنما تدل على كل ما يتصل بالسيولة أو الطراوة والليونة .

ثامنا : الألفاظ الدالة على الماء في المعجم العربي :

كل ما سبق ذكره إنما يدور في فلك المادة اللغوية للفظ الماء (موه) ، ولكن إذا وسَّعنا مجال البحث، فسنجد أن لفظ الماء ضاق عن التعبير عن كل ما أراد العرب أن يعبروا عنه من أحوال الماء وأوصافه المتعددة ، ومن أجل ذلك منحوه كثيرا من الأسماء ، وخلعوا عليه كثيرا من الصفات ، واستعاروا له صفات أشياء أخرى ، وبمرور الوقت تحولت الكثرة الكاثرة من الصفات التي خلعوها على الماء – نتيجة طول العهد بها – إلى أسماء للماء ، وهو ما يُعرف بإقامة الصفة مقام الموصوف .

وبعدما صار الماء دالا على ما يسيل ، كله أو جُله ، تحولت التراكيب التي احتل فيها الماء موقع المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، وهذا أمر اشتهرت به اللغة العربية ، فأصبحت تلك الألفاظ تدل كذلك على الماء ، أو على حالة من حالات الماء . والمطالع للمعجم العربي يلحظ كثرة تلك الألفاظ التي تدل على الماء ، أو التي استعيرت من الماء لغيره من الأشياء .

ولأن هذا البحث محدد بلفظ الماء ومادته اللغوية ، فسأكتفي فقط بإيراد بعض الأمثلة للدلالة على تغلغل دلالة الماء في المعجم العربي ، فمن ذلك [١٠٨]:

١. ألفاظ تدل على الماء العذب ، ومنها : الرَّسِيل ، والرَّواء ، والزُّلال ، والسَّلْسَل ، والسَّلْسَبِيل ، والعُضَارِس ، والفُرَات ، والمَعِين ، والنُّقَاخ .
٢. ألفاظ تدل على الماء الملح أو المرّ ، ومنها : الأُجَاج ، والحُرَاق ، والدُّعاق ، والزُّعَاق ، والمُضَاض .
٣. ألفاظ تدل على الماء البارد ، ومنها : البَرَد ، والبَسْر ، والخَصِر ، والشَّبِم .
٤. ألفاظ تدل على الماء الحار ، ومنها : الحَمِيم ، والمُوغَر .
٥. ألفاظ تدل على الماء الكثير ، ومنها : الأباب ، والجُبَاجِب ، والخُضَارِم ، والدِّهاق، والرَّبَب ، والزَّعْرَب ، والسَّعْبَر ، والسَّيْل ، والعُبَام ، والعِدّ ، والغَمْر ، والنَّمِير .
٦. ألفاظ تدل على الماء القليل ، ومنها : التَّامُور ، والبُرَاض ، والبَصْباص ، والبَضَض ، والبَهْل ، والثَّمْلة ، والحِسْي ، والدِّفافُ ، والرَّقْض ، والسَّمَلة ، والضَّهْل .
٧. ألفاظ تدل على الماء الصافي ، ومنها : الدَّاغِصَة ، والرَّوْق ، والعَرَب ، والقَرْقف.
٨. ألفاظ تدل على الماء العكر أو المتغير ، ومنها : الآجن ، والآسن ، والرَّمِد ، والرَّنْق ، والسَّجَس ، والصَّقْر ، والطَّهل ، والغِرْيَل .

وكما أسلفت القول ، فقد أطلق العرب لفظ الماء على كل ما يقاربه بأدنى ملابسة ، حقيقية أو مجازية ، ولاسيما صفتي السيولة والجريان ، فمثلا :

- الحَوَلاء ، و السَّابياء ، وهو ما يَخرج على رأس الولد إذا وُلِدَ أطلقوا عليهما اسم الماء .
- والسَّقْي ، والصُّفَار ، و الفَقْء ، وهو سائل أصفر يقع في البطن . وقيل هو ما يكون في المَشِيمةِ ويخرُجُ على رأس الوَلَدِ ، أسموا كل ذلك ماءً .
- والصُّخْد ، وهو ما يَكُونُ في المَشِيمَةِ ، أسموه ماءً .
- والفَظِيظ ، وهو ماءُ الفَحْلِ أو ماءُ الكَرِش ، أسموه ماء .
- والمَذْي والمَنِيّ والوَدْيُ ، وهي أسماء ثلاثة سوائل تنزل من ذكَر الرجل ، على اختلاف في وصفها ، أطلقوا عليها جميعا اسم ماء .

وبطبيعة الحال ، فكل هذه الألفاظ يصعب أن توجد في بيئة لغوية واحدة للدلالة على الشيء ذاته ، فهذا مما لا تجود به أية لغة في سهولة ، فهذه الألفاظ وغيرها ألفاظ لقبائل شتى ، وبعضها أقدم من بعض ، وبعضها متطور صوتيا عن بعض ، وما وُجد منها في ذات البيئة اللغوية خلع العرب عليها فروقا لغوية دقيقة ، فهناك ألفاظ تدل على العذوبة فقط ، ومنها ما يدل على العذوبة والبرودة معا ، وهناك ألفاظ تدل على الماء الكثير ، ومنها ما يدل على الماء الكثير الذي لا ينقطع ، والألفاظ الدلة على المطر على سبيل المثال جعلوها متدرجة من الأضعف إلى الأكثر ، كل درجة لها لفظ يعبر عنها ، وهكذا . حتى أصبح لدينا في اللغة العربية تراث كبير ، ومعجم دقيق للألفاظ الدالة على الماء .

وما سبق يقتضي منا عند النظر في ألفاظ الماء أن نتخلى عن نظرتنا المعتادة للماء ، التي تحصره في نطاق ما يُشرب أو يُغتسل به فقط ، كما تذكر المعاجم في تعريفه – هذا إن ذكرت تعريفا من الأساس - بل علينا أن نجعل لدينا مقياسا موضوعيا لما نُطلق عليه اسم الماء ، وهو : أن كل ما أطلق عليه العرب (ماء) فهو داخل ضمن ألفاظ الماء ، سواء أكان يوافق نظرتنا المعتادة للماء أم لا ، وأيًّا كان سبب نشأة اللفظ ، أهو إقامة الصفة مقام الموصوف ، أو إقامة المضاف إليه مقام المضاف ، أو كان المجاز باعتبار المشاركة في صفة ما من الصفات المميزة للماء . في حين لا يدخل غيرها من الألفاظ ، فـ(الدافق) أو (الصافي) مثلا ليسا من ألفاظ الماء ؛ لأن العرب لم يطلقوا على الماء لفظ الدافق أو الصافي ، وإنما وصفوه بهاتين الصفتين ، ولم يقيموا الصفة مكان الموصوف فيهما وفي أشباههما .

ومما يجدر ذكره ، أن هذه النظرة الموسعة للألفاظ الدالة على الماء ، كانت حاضرة في أذهان أكثر اللغويين العرب ، فهذا الثعالبي في كتابه (فقه اللغة) يذكر أكثر هذه الألفاظ ويُطلق عليها لفظ (ماء) ، وما بالنا نذهب بعيدا ، فهذه المعاجم العربية ، وعلى الرغم من أنها في غالبها ركّزت على الدلالة المركزية الأكثر

شيوعا للماء ، فإنها عادت وأطلقت لفظ الماء على كل لفظ أطلق عليه العرب اسم (ماء) ، ولم يكن في هذا تجوُّز منهم ، أو استكثار في غير محله .

إن المستقر عند علماء الدلالة أن اكتساب الألفاظ لدلالاتها المختلفة يمكن – أحيانا – التنبؤ به ، ولكن لا يمكن التحكم فيه ، وحينما تُكتسب الدلالة فإنها لا تكون قابلة للاستحسان أو الاستهجان ، وليس للغوي أمامها إلا الوصف والبيان . وليس له مثلا أن يقترح سحب دلالة ما من لفظ بعينه ؛ لأنه لا يعجبه ، أو لأنه تعوَّد على خلافه ، أو لأنه يحتفظ في مخيلته بشكل معين للماء . كما ليس له أن يقترح إضافة دلالة إلى لفظ بعينه ، كأن يقترح مثلا إضافة (البول) لألفاظ الماء ، ما دام العرب قد أطلقوا على المنيّ ، والمذي ، والودي ، والسَّقْي ، والصُّفَار ، والفَقْء ونحوها اسم الماء ، والبول شبيه بها ويشترك مع بعضها في المخرج . نقول : ليس له هذا لأن العرب – ببساطة – لم يطلقوا عليها اسم الماء ، وحينما نجد شاهدا قابلا للاحتجاج به أطلق العرب فيه على لفظ (البول) اسم الماء ، حينئذ فقط يمكننا أن نضمنه ضمن تلك الألفاظ [١٠٩] .

إن تشعب استخدام الماء وصفاته بلاغيا في اللغة العربية ، وارتباطه بعدد كبير من الألفاظ ، وتغلغله في عدد غير قليل من السياقات ؛ يجعل لفظ (الماء) من الألفاظ الحاكمة في المعجم العربي .

وتعبير (الألفاظ الحاكمة) في المعجم فكرة من وحي هذا البحث [١١٠] ، وهي فكرة تحتاج إلى مزيد من البحث . وتفترض هذه الفكرة أن هناك ألفاظا بعينها تشعبت في المعجم العربي ، نتيجة لأهميتها في البيئة العربية ، حتى أصبحت مصدرا للكثير من التشبيهات والاستعارات والمجازات .

وإذا صحت هذه الفرضية ، فإنها ستكون مدخلا جيدا لعلاج مظهر النقص الواضح في المعجم العربي، وهو الجانب التاريخي في تطور الألفاظ العربية ، حيث يمكننا من خلال تحديد تلك الألفاظ الحاكمة، ومن خلال النظر في الاشتقاقات المشتركة لكل مادة لغوية واحدة – الفكرة التي فصّلها ابن جني قديما – أن نتعرف على وجه التشبيه أو الاستعارة أو المجاز في هذا اللفظ أو ذاك ، وأن نحكم بأسبقيته التاريخية أو العكس ، وهو ما يعني أن المعاني الأخرى التي لا تنتمي لذلك الحقل الدلالي معانٍ متأخرة تاريخيا في الغالب .

وكما سبق ، فإن هذه الفكرة تحتاج إلى مزيد من البحث ، وتطبيقها على عدد من الألفاظ للتعرف على مصداقية هذا الفرض ، وعلى صلاحية استخدامه لسد ثغرة التطور التاريخي لألفاظ اللغة العربية شيئا فشيئا .

فهرس المراجع

- أساس البلاغة ، لجار الله الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م
- الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م
- الألفاظ الفارسية المعربة ، أدي شير الكلداني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨ م
- أمثال العرب ، للمفضل الضبي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- بحوث ومقالات في اللغة ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض ، ط أولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٢ م
- بلاغات النساء ، لأبي الفضل أحمد بن طيفور ، صححه أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨ م
- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، دار الهداية ، دون تاريخ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون تاريخ .
- التخمير شرح المفصل ، للخوارزمي ، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ط أولى ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م
- تفسير الطبري = جامع البيان في تفسير القرآن
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن
- تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، ط أولى ، بيروت ، ٢٠٠١ م
- جامع البيان في تفسير القرآن ، للطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م
- الجامع الصحيح ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- الجامع الصحيح ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق / محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، نسخة مصورة عن السلطانية ، ط أولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، تحقيق أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ثانية ، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤ م
- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القرشي ، تحقيق علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة ، دون تاريخ .
- جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت ، دون تاريخ .
- الحماسة البصرية ، لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري ، تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب ، بيروت ، دون تاريخ .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط رابعة ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ثالثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- دراسة السمع والكلام ، د. سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م
- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م
- دلائل النبوة ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : د/ عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث ، بيروت – القاهرة ، ط أولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م
- ديوان الأخطل ، شرحه وصنف قوافيه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م
- ديوان امرئ القيس ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ثانية ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م
- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٢ م
- ديوان عروة بن الورد ، دراسة وتحقيق أسماء أبو بكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨ م
- ديوان أبي نواس ، شرح محمود أفندي واصف ، المطبعة العمومية بمصر ، الطبعة الأولى ١٨٩٨ م
- الديوان العام لحمدون بن عبد الرحمان بنا لحاج السلمي ، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (١) ، دون تاريخ .
- ديوان ابن منير الطرابلسي ، جمعه وقدم له د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الجيل ، بيروت ، ط أولى ١٩٨٦ م
- السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثالثة ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م
- السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م
- شرح أشعار الهذليين ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق عبد الستار فراج ، ومراجعة محمود شاكر ، مكتبة العروبة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥ م
- شرح ديوان الحماسة ، لأبي علي المرزوقي الأصفهاني ، تحقيق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط أولى ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، لأبي العلاء المعري ، تحقيق ودراسة د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢ م
- شرح معاني الآثار ، لأبي جعفر الطحاوي ، تحقيق / محمد زهري النجار ، ومحمد سيد جاد الحق ، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، عالم الكتب ، ط

أولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م
- شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج
- الصحاح في اللغة ، لأبي نصر الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط رابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م
- صحيح البخاري = الجامع الصحيح
- صحيح مسلم = الجامع الصحيح
- الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين ، د. عبد المنعم النجار ، ط أولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م
- علم الأصوات ، د. كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثانية ١٤١٥ هـ
- غريب الحديث ، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحَرْبي ، تحقيق سليمان بن إبراهيم العايد ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، ط أولى ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م
- فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق د. خالد فهمي إبراهيم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط أولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م
- في اللسانيات العربية المعاصرة ، د. سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ط أولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
- القاموس المحيط ، لمجد الدين الفيروزابادي ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثامنة ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي ، دار صادر ، بيروت ، ط ثالثة ١٤١٤هـ/١٩٨٤ م
- اللغة والتفسير والتواصل ، د. مصطفى ناصف ، سلسلة دار المعرفة ، الكويت ، يناير ١٩٩٥ م
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط أولى ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م
- المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي ، وعبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ط أولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٩ م
- معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية ، د. حازم علي كمال الدين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط أولى ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط أولى ، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠ م
- مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ثالثة ١٤٢٠ هـ .
- المفضليات ، للمفضل الضبي ، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط سادسة ، دون تاريخ .
- منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع محمد بن المبارك بن ميمون ، تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط أولى ١٩٩٩ م
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لشرف الدين النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ثانية ١٣٩٢ هـ.
- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٣ ، ١٩٩٦ م
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات بن الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

الهوامش

[1]معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية ص ٣٥٢

[2]اللسان (موه) ٥٤٣/١٣

[3]تاج العروس (موه) ٥٠٦/٣٦

[4]ما ذكره الفراء من لفظتي (بَي) و(بَ) ما هو إلا استبدال الميم بالباء ، وكلاهما صوت شفوي ، مجهور ، مرقق ، أما (بَ) فهو تقصير للحركة الطويلة في (بَي) . فوجود هاتين الصورتين مفهوم في ضوء قوانين التطور اللغوي ، ولكنا استبعدناهما من النظر هاهنا لابتعادهما عن الأصل اللغوي الذي نحن بصدده للفظ الماء ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الزبيدي في تاج العروس يستبعدهما أساسا من النص المنقول عن الفراء .

[5]انظر : تاج العروس (موه) ٥١١/٣٦ ، والألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير ص ١٤٣

[6]النهاية (موه) ٣٧٤/٤ ، ونقل ذلك ابن منظور في اللسان (موه) ٥٤٥/١٣

[7]السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب قسم الفيء والغنيمة (طبعة دار الباز) ٣٣٥/٣ ، وتم تغيير اللفظ إلى (ماء البصرة) في طبعات لاحقة للكتاب لنفس المحقق (انظر طبعة دار الكتب العلمية ٥٤٥/٦) .

[8]إنما قلت : حوالي ؛ لأن لفظ الماء ورد في بعض المواضع ولا يراد به الماء الذي يُشرب ، كقوله تعالى من سورة الطارق ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ ، وسيأتي أن هذا من قبيل التوسيع الدلالي للفظ الماء .

[9] البخاري كتاب الإيمان ٣٤/١ ح ٩١ ، وكتاب الخصومات ١٦٣/٣-١٦٦ ح ٢٤٢٧، ٢٤٢٨، ٢٤٢٩، ٢٤٣٨ ، ونحوه في كتاب الطلاق ٦٥/٧ ح ٥٢٩٢

[10] البخاري كتاب الوضوء ٤٧/١ ح ١٤٠

[11] البخاري كتاب الوضوء ٥٠/١ ح ١٥٠

[12] البخاري كتاب الوضوء ٥٤/١ ح ١٦٩

[13] البخاري كتاب الوضوء ٦٩/١ ح ٢٣٩

[14] البخاري كتاب الوضوء ٧٠/١ ح ٢٣٤ ، ونحوه كتاب النكاح ٥١/٧ ح ٥٢٤٨

[15] البخاري كتاب الغسل ٧٢/١ ح ٢٤٨

[16] البخاري كتاب الصلاة ١٧١/١ ح ٦٦٩

[17] البخاري كتاب الصلاة ١٧٥/١ -١٧٦ح ٦٨٧

[18] البخاري كتاب فضل ليلة القدر ٦٠/٣ ح ٢٠١٦، ونحوه في كتاب الاعتكاف ٦٢/٣ ح ٢٠٢٧ ، ٦٦/٣ ح٢٠٤٠

[19] البخاري كتاب المزارعة ١٣٧/٣ ح ٢٣٢٨

[20] البخاري كتاب الرقاق ١٢١/٨ ح ٦٤٥٩

[21] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١٠٨/١

[22] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١٢٢/١

٢٣ ديوان امرئ القيس ٨٦/١

٢٤ جمهرة أشعار العرب ٢٧٣/١

٢٥ شرح ديوان الحماسة ١١٥٧/١
٢٦ جمهرة أشعار العرب ٣٥٩/١
٢٧ المفضليات ٢٦٧/١
٢٨ أمثال العرب ٧٤/١
[٢٩] شرح ديوان الحماسة ١٢٧٥/١
٣٠ جمهرة خطب العرب ٣٩/١
٣١ جمهرة الأمثال ٧١/٢

[٣٣] انظر: لسان العرب (جهضم) ١١٢/١٢ ، و(موه) ٥٤٤/١٣
٣٤الأصوات المركبة / المزدوجة (diphthong) في العربية أكثر أمثلتها تتمثل في الواو والياء المسبوقتين بالفتحة ، مثل المثالين المذكورين في المتن ، فالواو والياء فيهما صوتان صامتان (أشباه حركات) تلاهما حركة الفتحة . ومن الأصوات المزدوجة أيضا الواو والياء إذا تحركا بالفتح في مثل (وَعَدَ يَعِدُ) ، أو حُرِّكت الواو بكسر في مثل (وصال) ، أو الياء بضم في مثل (يُوقن) . وانكماش تلك الأصوات ملاحظ بجلاء في اللهجات العربية . ويرى بعض أساتذتنا كالدكتور كمال بشر أن تسمية الواو أو الياء المسبوقتين بفتح بالحركة المركبة أو المزدوجة غير دقيق . انظر : علم الأصوات ص ٣٧٢ ، ولمعرفة هذا النوع من الحركات واختلاف العلماء فيه انظر: دراسة الصوت اللغوي ص ٣٥٣-٣٥٥ ، ودراسة السمع والكلام ص ٢١١-٢١٤. وهذا الخلاف حول وجود الحركات المركبة في العربية مرجعه كما يقرر أستاذنا الدكتور سعد مصلوح إلى الخلط بين الاعتبارين الفوناتيكي والفونولوجي لتلك الحركات . انظر : في اللسانيات العربية المعاصرة ص ١١١-١١٢ ، وبطبيعة الحال فإن اختلافهم هذا في كونها حركة مركبة أو غير مركبة لن يغير من الأمر شيئا ، فهو اختلاف اصطلاحي في وصف النطق لا في كيفية النطق .
[٣٥]انظر : بحوث ومقالات في اللغة ٥٧-٦٤
٣٦ ستأتي إشارة أوضح إلى هذا في أولا من الفصل الثاني من هذا البحث .
[٣٧]في الاشتقاق لابن دريد ١/ ٣١٦ " وأصل الهمزة في الماء من الواو ، لأنّك تقول أمواهٌ " .
[٣٨]اللسان (موه) ٥٤٣/١٣
[٣٩]تاج العروس (موه) ٥٠٦/٣٦
[٤٠]عقد ابن جني في الخصائص ٢٥٦/١ بابا سماه " باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا وحكما لا زمانا ووقتا " ، أشار فيه إلى تلك الحقيقة ، وانظر : بحوث ومقالات في اللغة ص ٦٦، لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله .
[٤١]المصباح المنير للفيومي (موه) ٣٤٨
[٤٢]تفسير القرطبي ٢٢٩/١
[٤٣]انظر : التخمير شرح المفصل للخوارزمي ٣٨١/٤
[٤٤]انظر : الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين ، د. عبد المنعم النجار ص ٢٢٧ وقد عقد ابن السكيت في كتابه (القلب والإبدال) بابا عن الإبدال بين الهاء والهمزة .
[٤٥] تاج العروس (موه) ٥٠٧/٣٦

[٤٦]اللسان (عذب) ١/ ٥٨٣
[٤٧] الصحاح (موه) ٢٢٥٠/٦، وتكرر ذلك في اللسان (موه) ٥٤٣/١٣
[٤٨] تهذيب اللغة ، باب الهاء والميم ٢٥٠/٦ ، وانظر اللسان (موه) ٥٤٣/١٣
٤٩ البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ٢٤٥/٤ ح ٣٦١٥
٥٠ صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ١٦٣/١
٥١ خزانة الأدب ٢٨٢/٥
[٥٢] اسم الجنس الإفرادي يصدق على القليل والكثير ، اما اسم الجنس الجمعي فهو الذي يُفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بياء النسب ، ويجوز مع ذلك تثنيته وجمعه . راجع اختلاف النحاة في التفرقة بين أنواع اسم الجنس في النحو الوافي ٢١/١-٢٥ ، ٦٨١/٤
[٥٣]اللسان (موه) ٥٤٣/١٣، وهو في الصحاح (موه) ٢٢٥٠/٦
[٥٤]تاج العروس (موه) ٥٠٦/٣٦، وهو مذكور في اللسان (موه) ٥٤٣/١٣
[٥٥]المصباح المنير (موه) ٣٤٨
[٥٦] النهاية في غريب الحديث والأثر (موه) ٣٧٤/٤
[٥٧]تفسير الطبري ٥٧٨/٢٢
[٥٨]البخاري كتاب الشروط ٢٥٣/٣ ح ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢
[٥٩]سنن البيهقي الكبرى ، كتاب السير ٦٥/٩ ح ١٧٨٨٢
[٦٠]انظر : شرح معاني الآثار ٩٧/١ ح ٦١٤
[٦١]تحفة الأحوذي ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ٥٠٣/٦
[٦٢]عون المعبود ، كتاب الأشربة ١٤٤/١٠
[٦٣]غريب الحديث إبراهيم الحربي (غمر) ١٠٦٨/٣
٦٤ المفضليات ٢٣٩/١
٦٥ ديوان طرفة بن العبد ٦١/١
٦٦ شرح ديوان الحماسة ١١٩٣/١
[٦٧] بلاغات النساء ١٠٦/١
٦٨ الحماسة البصرية ١٣١/٢
[٦٩] ديوان الأخطل ص ٨٥
[٧٠] التهذيب ، باب الهاء والميم ٢٤٩/٦
٧١ اللسان (موه) ٥٤٣/١٥
[٧٢]النهاية في غريب الحديث والأثر (موه) ٣٧٤/٤
[٧٣]صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ١٨٤٢/٤ ح ١٥٦
[٧٤]شرح النووي على مسلم ، كتاب الفضائل ١٢٧/١٥
[٧٥] ديوان حمدون بن الحاج ص ٦١٢
[٧٦]تاج العروس (موه) ٥٠٨/٣٦ ، واللسان (موه) ٥٤٣/١٣

[٧٧]النهاية في غريب الحديث والأثر (موه) ٣٧٤/٤
[٧٨]مفاتيح الغيب ، تفسير سورة النور ٤٠٨/٢٤
[٧٩]دلائل النبوة للبيهقي ، جماع أبواب غزوة خيبر ٢٨٦/٤
٨٠فتح الباري ، قوله " باب المن شفاء للعين " ١٦٤/١٠
[٨١] المعاني الكبير ١٢٦٥/٣
[٨٢] ديوان ابن منير الطرابلسي ٥/٥ ص ٨٤
٨٣ كل الأمثلة المذكورة مأخوذة من اللسان (موه) ، والتاج (موه) ، ولم يخرج ما ذُكر في باقي المعاجم عنها ، وقد تصرفت في الأمثلة لتلائم التقسيم الذي ذكرته هاهنا .
٨٤في التاج (موه) ٥١٠/٣٦: " أمهاه مقلوب أماهَهُ ، ووزْنُه أفْلعه " .
[٨٥] في اللسان (خشب) ٣٥٢/١ عن أبي علي الفارسي أن (أمْهَى) أصله (أمْوَه) . وقال ابن جني أن (مَهْوٌ) مقلوب من مَوْهٍ لأنه من الماءِ الذي لامُهُ هاء بدليل قولهم في جمعه أمْواهٌ والمعنى فيه أنه أُرِقَّ حتى صارَ كالماءِ في رقّتهِ .
[٨٦] اللسان (موه) ٥٤٦/١٣
[٨٧] المال هاهنا : الإبل .
[٨٨]تاج العروس (أوه) ٣٣١/٣٦
[٨٩]وفي الاشتقاق ٣١٦ " فأمَّا مَاويَّة فزعموا أنَّها المِرْآة ، كأنَّها منسوبةٌ إلى الماء لضوئها " .
[٩٠] تاج العروس (موه) ٥٠٨/٣٦ ، وفي التاج كذلك (موه) ٥٠٩/٣٦ : " وقيلَ : (ماويَّة) العلم على النِّساءِ مَأخوذٌ مِن آوَيْتَه إذا ضَمَمْتَه إليك ، فالأصْلُ مَأويّة بالهَمْز ثم سُهِّلتْ ، فهي اسمُ مَفْعولٍ ".
[٩١] البيت لساعدة في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٥١١/١
[٩٢]الخصائص لابن جني ١٢٦/٢ باب في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول .
[٩٣] تاج العروس (موه) ٥٠٧/٣٦
[٩٤]الصحاح (موه) ٢٢٥٠/٦
٩٥البحر المحيط ١٥١/١
[٩٦]المعجم الوسيط (موه) ٩٢٨/٢ (بتصرف) .
٩٧ البخاري كتاب الإيمان ٤٤/١ ح ١٣٠ ، وكتاب الغسل ٧٩/١ ح ٢٨٢
٩٨ البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ١٦٠/٤-١٦١ ح ٣٣٢٩
٩٩ البخاري كتاب الصلاة ٢٠٤/١ح ٨٠٦
١٠٠ البخاري كتاب التفسير ٧٥/٦ ح ، ٤٦٣٩ ، البخاري كتاب الطب ١٦٤/٧ ح ٥٧٠٨
١٠١ البخاري كتاب التيمم ٩١/١ ح ٣٤٣ ، ومسلم كتاب الطهارة ١٩٢/١
[١٠٢] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ١٩٧
[١٠٣] ديوان عروة بن الورد ص ٩٢
[١٠٤] ديوان أوس بن حجر ق ٢٩/٣٥ ص ٨٨
[١٠٥] منتهى الطلب من أشعار العرب ق ٥٠/٣٧٩ ١ج ١٩٠/٧
[١٠٦] ديوان أبي نواس ص ١٥٩

[١٠٧] شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ق ٧/٢٠ ج ١٣٣/١

[١٠٨] جميع هذه الألفاظ مذكورة في كل من تاج العروس ، ولسان العرب ، كلٌّ في موضعه .

[١٠٩] لفظ (البول) اكتسب تلك الدلالة في اللهجات العامية ، ولكنه لم يُطلق عليه في العربية الفصحى لفظ الماء ، فيما طالعت.

١١٠ استخدم الدكتور مصطفى ناصف تعبير (الكلمات الحاكمة أو الكلمات الأساسية) في كتاب (اللغة والتفسير والتواصل) ، نقلا عن I.A.Richards في كتابه How to Read A Page ، ومدلولها هناك يتفق مع تعبير (الألفاظ الحاكمة) هنا فقط في كون تلك الألفاظ شائعة الاستخدام بين الناس ، ولكن التعبيرين يختلفان في تحديد المقصود بهما ، وفي كيفية الاستفادة من تلك الألفاظ . انظر : اللغة والتفسير والتواصل ص ٥٤